سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس الرابع

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الرابع

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لَهُ. ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ؛ فَإِنَّهُ [سُبْحَانَهُ] أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ؛ بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصَّافات]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلاَمَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَت بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله، والثناءُ علىٰ الله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد..

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في هٰذه العقيدة المختصرة المباركة -التي نسأل الله جل وعلا أن ينفعنا جميعًا بها وأن يتقبَّل منا اعتقادنا لما فيها وأن يثبّتنا عليه حتىٰ نلقاه- قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في وصف أهل السنة والجماعة: (**فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**)، (**لاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ**) كما نفىٰ عنه الصفات التي وصف بها نفسه طوائف الضلال من الجهمية والمعتزلة والرافضة والكلابية والكرامية والأشعرية والماتريدية.. ونحو ذلك، فإنّ كل طائفة من هؤلاء نَفَتْ عن الله جل وعلا إما جميع الصّفات وإما بعض الصفات.

والذين ينفون عن الله جل وعلا ما وصف به نفسه:

إما أن يكونوا من **الذين ينفون أكثر الصفات وهؤلاء يقال لهم: النفاة**؛ نفاة الصفات كالجهمية والمعتزلة.

وإما **أن يثبتوا منها سبعا أو عشرين أو ثمانيا كحال الماتريدية وهؤلاء قد يقال في حقهم: الصِّفاتية**؛ لأنهم يثبتون من الصفات أكثر مما أثبت أصولهم وهم المعتزلة والجهمية، فالكلابية تثبت من الصفات أكثر مما أثبت المعتزلة، وكذلك الأشاعرة والماتريدية، ولهٰذا قد يقال لهؤلاء: الصِّفاتية، في مقابلة النفاة، كما يذكر ذلك كثير من علماء أهل السنة ومنهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

وهؤلاء جميعا -سواء كانوا من النفاة أم كانوا من الصفاتية- فهم ينفون عن الله جل وعلا ما وصف

به نفسه، وهٰذا النفيُ قد يكون نفيا للصفة بالكلية، وقد يكون نفيًا لمعناها بتأويلها بغير معناها وبحمل الظاهر فيها علىٰ غير ما دلَّت عليه ظاهر النُّصوص، هؤلاء ينفون يعني أنّ مآل حالهم النفي، سواءً نفوه أصلًا أو نفوا معناه الذي دلَّ عليه الظاهر، فالذين نفوا أن الله جل وعلا متَّصفٌ بالرحمة اللائقة به هؤلاء نفوا الرحمة ولو قالوا: إنّ معنىٰ الرحمة إرادة الإحسان، ونثبت الرحمة بتأويل، هؤلاء أيضا ينفون.

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون المعاني التي اشتملت عليها ألفاظ الصفات علىٰ ما يليق بالله جل وعلا علىٰ قاعدة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ] يثبتون اللفظ، ويثبتون ما في اللفظ من الصفة، ويثبتون ويوقنون ويؤمنون بما دلَّ عليه اللفظ من الصفة ويعلمون أصل معنىٰ هٰذه الصفة لأنها بلسان عربي مبين، ثم هم مع ذلك -يعني أهل السنة والجماعة- يقطعون الطمع عن إدراك الكُنْه وعن إدراك الكيفية؛ يعني عن إدراك كلِّ المعنىٰ وعن إدراك الكيفية.

فإذن أهل السنة لا ينفون عن الله ما وصف به نفسَه بل يثبتون لله جل وعلا ما وصف به نفسه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ بعد ذلك: (وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ)؛ لأن الذين يحرفون الكلم عن مواضعه هم اليهود كما وصف الله جل وعلا طوائف اليهود بذلك بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء:٤٦] ومعنىٰ تحريف الكلم عن مواضعه بحمله علىٰ غير ما دلَّ عليه.

والتحريف أصله العدول باللفظ عن معناه إلىٰ غيره، أو العدول بالمعنىٰ عن أصله إلىٰ غيره؛ يعني إلىٰ غير الأصل.

إما أن يقول: إن اللفظ هٰذا معناه لفظ آخر؛ كمن حرّف (استوىٰ) إلىٰ (استولىٰ)، أو ينفون المعنىٰ ويثبتون معنىٰ آخر، وهؤلاء هم الذين يؤولون الصفات الفعلية وبعض الصفات الذاتية بما أثبتوا من الصفات العقلية كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالىٰ.

(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ) يُعنىٰ به الكلمات الشرعية الدينية التي هي في باب الأخبار عن الله جل وعلا، وتحريف الكَلِم عن مواضعه هٰذا حرامٌ، وقد يكون كفرا، وقد يكون كبيرة، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأً يُعذر فيه صاحبه.

وهو إذن أقسام فليس كل تحريفٍ كفرا؛ بل قد يكون كفرا، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، وقد يكون معصية وقد يكون خطأ، وتفصيلُ هٰذا وأمثلته تأتي في مواضعها في الرسالة إن شاء الله تعالىٰ.

قال بعد ذلك: (وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ) الإلحاد مرّ معنا وهو أنه الميل، ولهٰذا سمي اللحد -لحد القبر- لحدا لأنه مائل عن سمت القبر عن سمت الحفر، فيه ميول، فالإلحاد الميل، ألحد يعني مال، **الملحد المائل عن الحق إلىٰ غيره.**

وفي الاصطلاح الملحد هو من مال عن الإيمان إلىٰ الكفر.

قال: (لاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ) يعني أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بالأسماء؛ أسماء الله وبالآيات وما اشتملت عليه الآيات من الأسماء والصفات، ولا يُميلونها ولا يُخرجون بها عن حقائقها اللائقة بها؛ إذْ إن صراط الأسماء المستقيم وصراط الآيات المستقيم أن يؤخذ بها بما دلَّت عليه ألفاظها من المعاني، ويُثبت ذلك لله جل وعلا.

فإذا حُرِّف ذلك فإن هٰذا من الإلحاد، بمعنىٰ أنه إذا نفىٰ صفة أو نفىٰ اسمًا من أسماء الله فإن هٰذا من جنس الإلحاد في أسمائه وصفاته، وقد قال الله جل وعلا في محكم كتابه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[الأعراف:١٨٠]، والإلحاد في أسماء الله وصفاته أنواع سبق ذِكْرُها.

قال هنا: (وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ) التَّكييف مر معنا معناه، والتَّمثيل مر معنا معناه.

إذن أهل السنة والجماعة تميَّزوا عما سواهم بهٰذه الخصائص؛ أنهم يثبتون لله جل وعلا ما أثبته لنفسه، ولا ينفون عن الله جل وعلا ما وصف به نفسه، ولا ينفُون عن الله جل وعلا ما وصفه به رسوله ﷺ؛ لأنَّ سبيلهم ليس هو سبيل الزَّائغين الضَّالين المغضوب عليهم الذين يحرِّفون الكلم عن مواضعه من الذين شابهوا اليهود، أو الذين يلحدون في أسماء الله وآياته الذين شابهوا المشركين، وإنما يؤمنون بالأسماء والصفات علىٰ حقائقها اللائقة بالله جل وعلا.(١)

إذن أهل السنة والجماعة تميزوا عما سواهم بهٰذه الخصائص؛ أنهم يثبتون لله جل وعلا ما أثبته لنفسه، ولا ينفون عن الله جل وعلا ما وصف به نفسه، ولا ينفون عن الله جل وعلا ما وصفه به رسوله ﷺ ؛ لأنّ سبيلهم ليس هو سبيل الزائغين الضالين المغضوب عليهم الذين يحرّفون الكلم عن مواضعه من الذين شابهوا اليهود أو الذين يلحدون في أسماء الله وآياته الذين شابهوا المشركين، وإنما يؤمنون بالأسماء والصفات علىٰ حقائقها اللائقة بالله جل وعلا.

ثم بيّن العلة في ذلك فقال: (لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لَهُ. ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ) هٰذا تعليل لما سبق، لِمَ لمْ ينفِ أهل السنة والجماعة عن الله ما وصف به نفسه؟ قال: (لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ).

فإذن الصفات والأسماء وإن كان ظاهر المعنىٰ قد يقتضي المشابهة، فإنّ إثبات الأسماء لله جل وعلا وإثبات الصفات لله جل وعلا إثبات لها بإثبات اللفظ وإثبات المعنىٰ الذي دل عليه اللفظ علىٰ ما يليق بالله جل وعلا، وأمّا الاشتراك في بعض المعنىٰ فإنّ هٰذا لا ينفيه أهل السنة والجماعة؛ لأن الله جل وعلا هو الذي وصف نفسه بذلك -كما سيأتي من قوله: (فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ)-، فهو جل وعلا الذي سمىٰ نفسه السميع وسمّىٰ المخلوق بالسميع، وبين السميع والسميع قدر مشتركٌ من المعنىٰ، وهٰذا المعنىٰ هو أصل السمع، والسمعُ الذي في المخلوق يناسب ذاته، والسمع الذي لله جل وعلا يناسب ذاته.

وهٰذا علىٰ أصل القاعدة المقررة وهي: **أن القول في الصفات كالقول في الذات، يُحتذىٰ فيه حذوه ويُنهج فيه منهاجه.**

لأنّ الصفة كل صفة تناسب الموصوف، فسمع المخلوق يناسب ذاته، وسمع الله جل وعلا يناسب ذاته، ما بين الصِّفتين من القدر المشترك هٰذا هو ما يجمعهما في أصل اللغة من المعنىٰ العام، أما

---

(١) انتهىٰ الشريط الثاني.

المناسبة مناسبة للذات فهٰذه لخارج الأصل العام، ولهٰذا فإنّ لله جل وعلا من الصفات أكملها، وله من كل صفة كمال أكمل تلك الصفة وأعظمُها وأشملها أثرا وأعمها متعلقا، وهٰذا لا يعني بحال المماثلة، وإنما القدْر المشترك في أصل المعنىٰ، هٰذا لا ينفيه أهل السنة؛ لأن الله جل وعلا أنزل القرآن بلسان عربي مبين، ومعنىٰ ذلك أن الكلمات التي فيها ذكر الأسماء والصفات أنها تُفْهَم باللغة وهٰذا سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالىٰ.

قال: (**لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ**) يأتي بيان معنىٰ (**سُبْحَانَ**) عند الآية وهي قوله: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[الصافات].

قال: (**لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ**) هٰذه الألفاظ الثلاثة: السمي، والكفْء، والنِّد. هٰذه جاءت في القرآن وهي متقاربة المعنىٰ، قال جل وعلا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾[مريم]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص]، وقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥].

فالله جل وعلا لا سمي له؛ لأنه قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ وهٰذا فيه الإنكار؛ لأنه قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ والاستفهام إذا أتىٰ بعده جملة يراد إبطالها فإنه يكون للإنكار، وإذا أتىٰ بعده جملة يراد إثباتها صار الاستفهام للتوبيخ أو للحث أو نحو ذلك من المعاني المقررة في علم العربية.

هنا قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ هٰذا فيه النفي؛ يعني: لا يعلم له سمي، بل إنكار أن يُعلم له سمي ﷻ، فلا أحد من خلقه يعلم لله جل وعلا سميا.

والسَّمِيُّ: هو المثيل والشبيه والنظير. كما فسرها ابن عباس رضي الله عنه وغيره، وكذلك الند، الند: هو المثيل والنظير. كما ذكر ابن جرير عند آية البقرة عند قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾، قال: الأنداد جمع الند، والند: هو المثيل والنظير، واستشهد لذلك بقول حسان بن ثابت:

أتهجـــوه ولســـتَ لـــه بنـــدٍّ فشـــركما لخيركمـــا الفـــداءُ

وتروىٰ: أتهجوه ولست له بكفْءٍ.

فهٰذا الند والكفْء والمثيل والسّمي، هٰذه كلها معانيها متقاربة ولا ترادف بينها؛ لكن المعاني متقاربة، وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ بيان معانيها عند الآيات التي سيوردها الشيخ رحمه الله تعالىٰ بعد ذلك.

قال: (**ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ**) هٰذه الكلمة من شيخ الإسلام إبطال لأصل أصله الجهمية وأصله المعتزلة؛ يعني أصّله أهل الكلام أهل البدعة الذين شقوا صف الجماعة في باب الأسماء والصفات؛ بل وفي باب القدر، قالوا: إنّ الله جل وعلا يقاس بخلقه.

ما معنىٰ القياس هاهنا؟ يعني أنه ما نفته العقول نفيناه، وما أثبته العقل وأثبتته العقول أثبتناه، وبناء علىٰ هٰذا نَفَوْا عن الله جل وعلا أكثر الصفات الذاتية.

فقالوا: إنّ إثبات الوجه لله جل وعلا يقتضي التجسيم والعقل ينفي هٰذا؛ ينفي أن يتصف الله جل وعلا بهٰذا؛ لأن الوجه أبعاض وأجزاء والله جل وعلا ليس كذلك.

قالوا: إن الله جل وعلا لا يتصف بأنّ له يدين؛ وذلك لأن اليد جارحة. ما الدليل؟ القياس العقلي،

وهكذا في سائر الصفات.

نعم إنّ أهل السنة أثبتوا ما أثبته القرآن من القياس، وسيأتي ذلك في موضعه؛ لكن ليس هو كل أنواع القياس.

قال هنا: (**ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ**) يعني في جميع الصفات التي اتصف الله جل وعلا بها فإنما نثبتها مع قطع القياس وقطع المماثلة مع الخلق.

فنحن نثبت لله جل وعلا الوجه، وليس وجه الله جل وعلا كوجه الإنسان أو كوجه مخلوق من مخلوقاته.

نثبت لله جل وعلا يدين، وليست اليدان لله جل وعلا كيدي بعض مخلوقاته.

نثبت لله جل وعلا العينين وليست العينان لله جل وعلا كعيني بعض مخلوقاته.. وهكذا.

نثبت لله جل وعلا استواءً يليق بجلاله وليس استواؤه كاستواء خلقه.

نثبت لله جل وعلا النزول كما أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عن ربه جل وعلا وليس نزول الرَّحمٰن جل وعلا كنزول خلقه.

وهٰذا كله علىٰ هٰذه القاعدة؛ لأنه سبحانه (**لاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ**)، وإنما كما ذكرنا من القاعدة أنّ القول في الصفات كالقول في الذات، كما أن الله جل وعلا لا تشبهه ولا تماثله شيء من الذوات فكذلك أسماؤه في عموم معناها وكنه اتصاف الله جل وعلا بها، وكيفية الاتصاف وأثر تلك الأسماء، كذلك لا يقاس هٰذا بخلق الله جل وعلا في أسمائهم.. إلىٰ غير ذلك من الأصول العظيمة.

ثم ذكر تعليلا آخر للاتباع فقال: (**فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ**) لِمَ اتبعنا علىٰ هٰذا الوجه من التسليم؟ لِمَ لم ندخل في هٰذا الأمر بالقياس وبالعقل وبما أصّله طوائف ممن يسميهم أولئك: الحكماء؟

لأن الله جل وعلا هو الذي وصف نفسه بذلك، وهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، هل تعلمون ذلك منه؟ هل تعلمون كيف اتصف الله بصفاته؟ هل يعلم المبتدعة والمؤولة والمحرِّفة كلّ المعنىٰ الذي تحمله الصفة؟ الجواب: لا.

وإذا كان كذلك فبطلت دعوىٰ المجاز وبطلت دعوىٰ التأويل الذي يصرف الألفاظ عن ظاهرها، فإنّ الله جل وعلا أعلم بنفسه.

وهٰذا الباب باب الأسماء والصفات أعظم الأبواب التي يدخل منها الإيمان إلىٰ القلب.

وإذا كان كذلك، فالله جل وعلا لا يبين للعباد من ذلك إلا ما فيه نفعهم، ولو وقع في الأسماء والصفات، في الآيات والأحاديث لو وقع ألفاظ؛ لو جاءت ألفاظ لا تراد ظواهرها من ذلك لوقع عند الناس الاشتباه في هٰذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالله؛ لأن الله جل جلاله إنما خضع له العباد وذلّوا وعبدوه وأحبوه ورغَبوا إليه ورهبوا منه وخافوه ورجوه، كل ذلك لشهودهم آثار أسمائه وصفاته ولإيمانهم بأسمائه جل وعلا وصفاته ونعوت جلاله وأنواع توحيده، فإنهم ما رأوا ذاته جل وعلا، وإنما علموه جل وعلا بما علموا من الأسماء والصفات.

وإذا كان كذلك كان مُحالا أن يبقىٰ هٰذا الباب ملتبسا علىٰ الخلق، أو تُذكر فيه ألفاظ يمكن فيها

الاجتهاد كألفاظ الفقه كالآيات التي فيه أحكام فقهية أو الأحاديث التي فيها أحكام فقهية التي تحتمل أكثر من معنىٰ في بعضها، هٰذا الباب باب الأسماء والصفات مُحال أنْ يبقىٰ فيه اللفظ محتملا؛ وذلك لأنه لا مدخل فيه للاجتهاد، وإذا كان فيه مدخل للاجتهاد فمعنىٰ ذلك أن فيه سبيلا لإضلال الناس، والله جل وعلا إنما عَرّف العباد بأسمائه وصفاته وأعلمهم بذلك ليكونوا في هٰذا الأصل العظيم علىٰ يقين وعلىٰ ثَبَتٍ وعلىٰ إدراك تام لصفاته جل وعلا وما دلّت عليه من المعاني، وبهٰذا تخضع قلوبهم له وتذل قلوبهم له وتألهه جل وعلا محبة وانقيادا وتعظيما.

قال هنا: (فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ) والعطف هنا في قوله: (وَبِغَيْرِهِ) مهم؛ لأن أولئك النفاة قاسوه جل وعلا بخلقه، والقياس ممتنع؛ لأن الله أعلم بنفسه فيما وصف به نفسه وأعلم بغيره الذين وصفهم بصفات يشتركون في ألفاظها مع صفات الله جل وعلا، ويشتركون في جزء المعنىٰ مع الله جل وعلا؛ يعني مع صفات الله وأسمائه جل وعلا، فهو أعلم بنفسه وما يصلح له وما يليق به جل وعلا، وأعلم بخلقه وما يصلح لهم وما يليق بهم، وهو جل وعلا وصف نفسه بالصفات ووصف خلقه، سمىٰ نفسه بالأسماء وسمىٰ خلقه، وهو أعلم بنفسه وبخلقه، فلو كان مجال القياس واردا كما ادعوه ولو كانت الشبهة ووقوع التمثيل والتجسيم كما ادعوه واردا لكان في هٰذا إلباسا علىٰ متلقي هٰذا الدين ومتلقي القرآن ليؤمن به، والله جل وعلا وصف آياته بأنها صدق وعدل فقال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام:١١٥]، وفي القراءة الأخرىٰ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًاوَعَدْلًا﴾ وهي صدق في الأخبار وعدل في الأحكام، ولهٰذا فإن الله جل وعلا لما كان أعلم بنفسه وبغيره -يعني وبخلقه- فإنه يتلقىٰ ما سمىٰ به نفسه وما وصف به نفسه بالتسليم العظيم؛ لأنه لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم بالله من خلقه من رسول الله ﷺ.

قال بعده: (وَأَصْدَقُ قِيلاً) كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[النساء]، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾[النساء]، فالله جل وعلا لا أحد أصدق منه قيلا؛ بل هو جل وعلا الذي كلماته صدق في أخباره إذا أخبر عن نفسه فهو صدق وحق، وإذا أخبر عن أسمائه فهو صدق وحق، وإذا أخبر عن صفاته فهو صدق وحق وإذا كان كذلك فمعناه أن دعاوىٰ أولئك كلها باطلة، قال: (وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مَصْدُوقُون) الرسل جمع رسول، وهم الذين أوحي إليهم بكتاب وأمروا بتبليغه إلىٰ قوم مخالفين كما مر معنا في أول هٰذه الرسالة، (صَادِقُونَ) صادقون: جمع الصادق، والصادق اسم لمن قام به الصدق، والصدق مطابقة الخبر للواقع، كما قال:

والصدق أن يطابق الواقعَ ما تقوله ..... إذا طابق الواقع ما تقوله، فهٰذا هو الصدق، إذا خالف الواقع، إذا خالف ما تقولُه الواقع، أو خالف الواقع ما تقوله فإنّ هٰذا يعد كذبا سواء كان خطأ أو كان متعمّدا، هٰذا في الاصطلاح، ورسل الله جل وعلا صادقون: يعني قام بهم الصدق، لم يُخبروا بشيء من أسماء الله جل وعلا وصفاته ولا من دينه إلا وقد طابق الواقعَ، فهُم لم يذكروا شيئا عن الله جل وعلا لا يطابق الواقع؛ بل ما وصفوا الله جل وعلا به هٰذا

يطابق الحال، وصف الرسل ربهم جل وعلا بأنه استوىٰ علىٰ العرش، فقال موسىٰ لفرعون؛ ذكر أن ربه جل وعلا هو الأعلىٰ، فقال فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾[غافر]، فهٰذا العلو نفاه فرعون، ورسل الله مجمعون علىٰ إرشاد الناس وتبيين تلك الصفة لهم، فهو جل وعلا له الصفات وأخبر رسله بما له من الصفات ورسله أخبروا الخلق بذلك وهم صادقون في ذلك، فمن نفىٰ صفة فقد كذّب الرسول، هٰذا حقيقة حاله؛ لكن قد يكون التكذيب له وجه من العذر فلا يكون كافرا بذلك. (رُسُلُه صَادِقُونَ مَصْدُوقُون) يعني....[1]

قال هنا: (بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ) القول علىٰ الله بلا علم حرام، سواء أكان القول في الأسماء والصفات؛ في العقائد، أو في الأحكام العملية، يعني سواء أكان في الأحكام الخبرية التي هي العقائد، أو في الحلال والحرام وهي الأحكام العملية، القول علىٰ الله بلا علم أشد المحرّمات، ولهٰذا عنه تفرّع كل ضلال، وقد ذكر الله جل وعلا تحريمه في عدّة آيات في كتابه جل وعلا.

مَن هم الذين قالوا علىٰ الله ما لا يعلمون؟ قالها كل مخالف للرسل، فإنّ مشركي العرب مثلا وصفوا الله جل وعلا بخلاف ما قاله الرسل بخلاف ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام، وأخبروا عن أسماء الله جل وعلا بخلاف ما جاءت به الرسل وعن صفات الله جل وعلا بخلاف ما جاءت به الرسل، بل أثبتوا لله صفات ونفوا أسماء بما عندهم، فقال الله جل وعلا عنهم: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾[الرعد:٣٠]، وهٰذا قول علىٰ الله بلا علم، وقال عن اليهود: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾[آل عمران:١٨١]، وأخبر أنهم قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾[المائدة:٦٤]، وهٰذا كله في باب الأسماء والصفات، قالوا علىٰ الله ما لا يعلمون، ورث هٰذا القول منهم -من أولئك- طوائفُ الضلال، فالجهمية ومن تفرع عنهم من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية.. وأشباه هؤلاء، كل طائفة أثبتت لله أسماء ونفت صفات من عقولهم ومن آرائهم بلا دليل، فجعلوا من أسماء الله جل وعلا وصفاته الصفات السَّلبية مثل القديم ونحو ذلك ومثل الموجود، فجعلوها من الأسماء ومن الصفات، والمعتزلة بل الجهمية قبلهم نفوا أن يكون لله جل وعلا أسماء فيها صفات، فيفسرها الجهمية؛ يفسرون الأسماء بالمخلوقات المنفصلة، والمعتزلة يفسرون الأسماء بالذات التي ليس فيها صفة، فيجعلون دلالة السميع هي دلالة العليم هي دلالة البصير؛ دلالة علىٰ الذات بدون المعنىٰ، فتكون عندهم من قبيل المترادف المحض؛ لأنها دالة علىٰ ذات بلا معنىٰ.

وهٰذا كله قول علىٰ الله بلا علم، هٰذه بلا شك جمل من الكلام وعرض عام سيأتي تفصيله بدقته وبتحريراته في مواضعه من هٰذه الرسالة.

قال هنا: (وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾[الصَّافات]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ)، وقوله: هنا ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ﴾؛ ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ هٰذا مفعول مطلق؛ يعني أُسَبِّحُ سبحان، وأصله في اللغة معناه الإبعاد، يقولون: سبحان فلان

---

(١) يوجد حذف في الشريط الذي عندي.

من كذا يعني: بَعُدَ فلان من كذا، وقد قال الشاعر:

أقـــول لمـــا جـــاءني فخـــرُه سـبحان مـــن علقمـــة الفـــاخر

يقول:

أقـــول لمـــا جـــاءني فخـــره سـبحان مـــن علقمـــة.....

يعني: بعيد جدا أن يكون لعلقمة من يفخر به.

وتسبيح الله (سبحان الله) معناها: تنزيه الله عن كل نقص وعيب وسوء، وموارده في الكتاب والسنة خمسة:

١_ تنزيه الله جل وعلا عن الشريك في الربوبية، كما ادعاه الملحدون.

٢_ تنزيه الله جل وعلا عن الشريك في الألوهية، كما ادعاه المشركون.

٣_ تنزيه الله جل وعلا في أسمائه وصفاته أنْ تُسلب معانيها اللائقة بها، وتنزيه الله جل وعلا في أسمائه وصفاته عن مماثلة المخلوقين لها.

٤_ تنزيه الله جل وعلا -هٰذا الرابع-، تنزيه الله جل وعلا في أمره الكوني وقدَره الكوني عن أنْ يكون بلا حكمة، أو أن يكون عبثا كما ادعاه من قالوا: خلقنا الله عبثا، ومن نفوا الحكمة في الخلق والإيجاد وتقدير الأشياء.

٥_ والخامس وهو الأخير: تنزيه الله جل وعلا في شرعه وأمره الديني عن النَّقص وعن منافاة الحكمة.

فالله جل وعلا ينزه نفسه بقوله: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ ﴾ يعني تنزيها لله من كل سوء ادعاه المخالفون للرسل، وهم ادعوا الشَّرِكة له في الربوبية فينزه الله جل وعلىٰ عن الشريك في الربوبية، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ ﴾ يعني تنزيها لله، إذا قلت في الركوع: سبحان ربيَ العظيم معناه: تنزيها لله ربي العظيم عن كل سوء ونقص في هٰذه المواد الخمسة التي في الكتاب والسنة؛ في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وفي الشرع وفي الأمر الكوني والقدري.

قال هنا: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾؛ ﴿رَبِّكَ ﴾ هنا الإضافة للتشريف، أضاف الربوبية إلىٰ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لتشريفه بها في هٰذا المقام العظيم، وهٰذا يقتضي أنّ كلام النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن ربه الذي جحده الجاحدون أنّه هو الأكمل وهو الأليق بالله جل وعلا.

ثم قال بعدها: ﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾؛ ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾ بمعنىٰ صاحب العزة؛ بمعنىٰ ذي العزة المتصف بالعزة، والعزةُ صفة لله جل وعلا، ومن أسمائه ﷻ: العزيز، والعزيز هو الذي كَمُلت له أوصاف العزة.

والعزة في الكتاب والسنة جاءت -يعني التي يتصف الله جل وعلا بها- جاءت علىٰ ثلاث معان:

الأول: العزّة التي هي بمعنىٰ الامتناع والغنىٰ وعدم الحاجة، الامتناع عمّن يغالب أو عمن يسيء، والغنىٰ -هٰذه كلها معنىٰ واحد- والغنىٰ عن الخلق.

والثاني: العزة بمعنىٰ القهر والغلبة.

والثالث: العزة بمعنىٰ القوّة، طبعا معنىٰ القوة الخاصة، قوة لا يُقوىٰ عليها، قوة لا يَنِدُّ عنها شيء.

وهٰذه هي التي ذكرها ابن القيم -هٰذه المعاني الثلاث- في النونية، حيث قال في بيان معاني اسم الله العزيز، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهـــو العزيـــز فلـــن يُـــرام جنابـــه ... أنّـــىٰ يُـــرامُ جنـــابُ ذي الســـلطان

وهـــو العزيـــز القـــاهر الغـــلابُ لـــمْ ... يغلبـــه شـــيء هٰـــذه صـــفتان

وهـــو العزيـــز بقـــوة هـــي وصفـــه ... فـــالعز حينئـــذ ثـــلاث معانـــي

وهـــي التـــي كمُلـــت لـــه سبحانـــه ... .

إلىٰ آخر ما قال، هنا ذكر الثلاث، معاني العزة، قال: (وهو العزيز فلن يرام جنابه)، وهٰذا هو الأول وهي عزة الامتناع وهي التي بمعنىٰ الغنىٰ التام والامتناع عن أن يضره أحد كما قال: «**إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني**» وكذلك عن أن ينفعه أحد امتناع عن أن ينفعه أحد «**ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»[1] هٰذا المعنىٰ الأول:

وهـــو العزيـــز فلـــن يُـــرام جنابـــه ... أنّـــىٰ يُـــرامُ جنـــابُ ذي الســـلطان.

المعنىٰ الثاني قال: (وهو العزيز القاهر الغلابُ) العزة بمعنىٰ القهر والغلبة (لم يغلبه شيء هٰذه صفتان).

ثم المعنىٰ الثالث: (وهو العزيز بقوة هي وصفه)، الثالث وهو العزيز بمعنىٰ ذو القوة الكاملة العظيمة التي لا يقوىٰ عليها شيء، فهٰذه تكون في الكتاب والسنة في فعلها من عَزّ يعَزّ بالفتح، كما قال سبحانه مثلا في سورة يس ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[يس:١٤] يعني قوينا وأيدنا بثالث.

وأما العزة بمعنىٰ الامتناع فهٰذه يأتي فعلها مكسورا: عَزّ يعِز.

وأما القهر والغلبة فيكون فعلها المضارع مضموما: عز يعُز عِزة، المصدر في الجميع: عِزَّة، لكن المضارع يختلف المعنىٰ، هكذا قرره ابن القيم وغيره من العلماء.[2]

القهر والغلبة هٰذه متعدية، والقوة هٰذه لازمة.

قال: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ وبهٰذا يصح أن تقول لله جل وعلا بهٰذا الدليل: رب الرحمة، رب السمع، رب البصر، رب العزة رب الجمال، رب النور ونحو ذلك بمعنىٰ صاحب يعني المتصف بهٰذه.

قال: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يعني عن الذي يصفون، والمفعول به -الذي هو الضمير- محذوف، يعني ﴿عَمَّا﴾ عن الذي يصفونه يعني هو الله جل وعلا به، ومن هم الواصفون الذين نزه الله جل وعلا نفسه عن

---

(١) مسلم، حديث رقم (٢٥٧٧).

(٢) وللسيوطي رسالة بعنوان «الثُّبوت في ضبط لفظ القنوت» وجعَلَ صدْرَها مُقدِّمَةً نفيسةً في الحضِّ علىٰ الاعتناءِ بضبْطِ ألفاظِ المرويَّاتِ.ثُمَّ أورد نُقولًا عن جماعةٍ مِنْ أهْلِ العربيَّةِ فِي بيانِ الكيفيَّاتِ اللِّسانيَّةِ الَّتي يأتي عليْهَا الفِعلُ المُضارِعُ (يَعِـزُّ) فتْحًا وكَسْرًا وضَمًّا. ثُمَّ نظَمَ مقاصِدَ هٰذا في أبياتٍ ختَمَ بها رسالته.

وصفهم؟ هم الذين لم يستجيبوا للرسل.

فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وذلك لأن المرسلين أنزل الله جل وعلا عليهم السلام وهو جلّ وعلا السلام، من أسمائه السلام، وهو الذي يُعطي السلامة، وقال هنا عن نفسه: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فهو الذي جعل الأنبياء والمرسلين أهلٌ للسلامة، والسلامة متبعِّضة:

هناك سلامة في القول في صحته ومطابقته للواقع.

وسلامة في الفهم.

وسلامة في العبودية.

وسلامة في الاعتقاد.

وسلامة في التَّبليغ.. فجهات السلامة كثيرة.

والله جل وعلا أعطاها عباده المرسلين، ولهٰذا قال هنا: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وأفاد الإعطاء التعدية بـ﴿عَلَى﴾ قال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وفي قوله: ﴿عَلَى﴾ ما يفيد أن السلامة صارت عليهم وقد أحاطت بهم، وهٰذا في هٰذا المقام ظاهر الفائدة؛ لأنّ المرسلين وصفوا الله جل وعلا بالصفات العلا وسموه بالأسماء الحسنىٰ.

وفي هٰذه السورة التي هي سورة الصافات ذكر الله جل وعلا عن المشركين أنهم استكبروا عن قول لا إلٰه إلا الله فقال فيها: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾[الصافات]، وذكر في آخر السورة أنهم جعلوا الملائكة بنات لله جل وعلا، وهٰذا فيه وصف لله جل وعلا، والأنبياء والرسل لم يصفوا الله جل وعلا بذلك؛ بل هم سالمون مسلَّمون في أقوالهم وفي أعمالهم وفي تبليغهم، ولهٰذا قال هنا: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لسلامة ما وصفوه به من النقص والعيب، وهٰذا لا شك أنه واسع المعنىٰ.

ثم قال: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ و(الحمد) مرّ معنا معانيه كثيرة في أول هٰذه الرسالة.

وقوله هنا: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هٰذا فيه فائدة نبهنا عليه مرارا وهو أن هٰذه الآية دليل علىٰ أن الربوبية غير الإلهية لأنه قال: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ والمعتمد عندنا أن لفظ الجلالة (الله) مشتق، وعليه يكون مشتقا من الألوهة، لأن الاشتقاق يكون من المصدر، والرب من الربوبية، والربوبية إذن غير الألوهية، قد قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: إن اسم الرب والإله من الأسماء التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت، وذلك إما بدلالة اللفظ أو بدلالة التضمن واللزوم.

قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ العالمون جمع العالم، والعالم كل ما سوىٰ الله جل وعلا، فكل ما سوىٰ الله جل وعلا عالم، وسُمِّي عالَما من العلَامة، لأنه علامة علىٰ أنه مربوب وأن له ربا خالقا، أو من العلم لأن به علم ما لله جل وعلا من الحق والأسماء والصفات، كما قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل علىٰ أنه الواحد

قال بعدها شيخ الإسلام: (فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ) ثم قال: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ

وَالإِثْبَاتِ) الله جل علا جمع بين النفي والإثبات في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى] نفىٰ في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وأثبت في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، كذلك قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ فأثبت ثم قال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥] فنفىٰ، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾[الإخلاص]، فيها إثبات في هاتين الآيتين، ثم نفىٰ فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص].

وهٰذا فيه بيان لقاعدة أهل السنة والجماعة في ذلك بأعظم دليل وأوضح استدلال بأنهم يجمعون في عقائدهم في الأسماء والصفات بين النفي والإثبات، وعندهم النّفي يكون مجملا كما أجمله الله جل وعلا، وعندهم الإثبات يكون مفصلا كما فصله الله جل وعلا.

وأما النفي المفصل الذي جاء في القرآن كقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[الكهف]، وكقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وكقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾[فاطر]، فإنّ النفي لا يكون كمالا ولا يُمدح به المنفي إلا إذا كان النفي يراد به إثبات كمال الضد.

الله جلّ وعلا نفىٰ عن نفسه الظلم والغرض من ذلك إثبات كمال ضد صفة الظلم وهو العدل، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[فصلت]، في هٰذا إثبات لكمال اتصافه بضد الظلم وهو العدل.

وبعض العلماء يسمي هٰذه الصفات السَّلبية؛ يعني الصفات المسلوبة عن الله جل وعلا، وما الفائدة من السلب؟ الفائدة منه: أن يثبت كمال ضده، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وذلك لكمال حياته سبحانه، وقد يكون النفي لإثبات صفة واحدة وقد يكون النفي لإثبات صفتين معا؛ يعني النفي يكون المراد منه إثبات الصفتين جميعا، يدلّ علىٰ ذلك قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ العجْز الذي نفاه الله جل وعلا عن نفسه قال العلماء: إما أن يكون لأجل عدم العلم؛ عَجِزَ عن الشيء لأجل أنه ليس بعالم به، وإما أن يكون العجز لأجل عدم القدرة عليه، لأجل عدم القدرة عليه؛ هو غير قادر عليه، عجزتُ عن الكتابة لأني غير قادر عليها، عجزت عن المسير لأني غير قادر عليه، لكن عجزت عن جواب سؤال لأني غير عالم به، فقوله هنا في هٰذا النفي: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ يراد به إثبات كمال ضد العجز، وكمال ضد العجز يكون بكمال صفتين، وهي صفة العلم وصفة القدرة، ولهٰذا قال جل وعلا في آخر هٰذه الآية قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾؛ قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾؛ وقد تقرر أن كلمة ﴿إِنَّهُۥ﴾ في القرآن من أساليب التعليل لما قبلها إذا كان خبرا أو أمرا أو نهيا أو حكما أو استفهاما، يكون ما بعد إن تعليل لما قبلها.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ما علة ذلك؟ قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ وهٰذا فيه ظهور أن النفي هنا أُريد به إثبات كمال ضده وهما صفتان: صفة العلم وصفة القدرة. ولذلك وصف الله جل وعلا نفسه بذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ مع ما في ﴿كَانَ﴾ من إثبات الكمال السابق واللاحق، وما في قوله: ﴿عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ من إثبات الكمال بدلالة صيغة المبالغة عليه.

قال هنا: (بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ) المبتدعة عندهم عكس ذلك، عندهم الإثبات مجمل، نثبت لله صفات

الكمال، ما هي؟ عندهم إجمال، أما النفي فإنه يكون مفصلا، يقولون: الله جل وعلا ليس بذي دم، وليس بذي جوارح، وليس بذي روح، ولا بذي أبعاض، ولا هو فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، ولا بذي جهة، وليس بداخل العالم ولا خارجه... إلخ، عندهم النفي كما ترىٰ في كتاب «التمهيد» وغيره وكتب أهل الكلام - التمهيد يعني للباقلاني- ترىٰ أنه يأتي في وصف الله في النفي في صفحتين أو أكثر كلها نفي مفصل: ليس بكذا وليس بكذا، وإذا أتىٰ الإثبات أجمله فقال: وله صفات الكمال، ما هي؟ الصفات التي يثبتونها وهي الصفات السبع العقلية.

قال: (فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ) وهٰذه كلمة عظيمة تدل علىٰ أن أهل السنة والجماعة يعني السلف الصالح أنهم تبعوا المرسلين ولاَ عُدُولَ لهم؛ يعني لا ميل لهم ولا انحراف، ولا يعدلون: لا يوازنون بما جاء به المرسلون شيئا؛ بل هم متبعون للمرسلين، وأما غيرهم فهم متبعون للمشركين أو لليهود أو للنصارىٰ أو للملحدين، فكلّ بدعة في الأسماء والصفات ظهرت في هٰذه الأمة فإنها لم تُستقَ من الأنبياء والمرسلين وحاشاهم من ذلك، وإنما أخذت من المشركين وأهل الكتاب، وقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لتتبعن سَنن من كان قبلكم**»،[1] وبين عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ في الحديث الآخر الذي رواه البخاري وغيره من حديث ابن عباس قال: «**إن أبغض الرجال إلىٰ الله ثلاثة**» وذكر منهم «**مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية**»،[2] وإذا رأيت فإن المشركين نفوا عن الله جل وعلا اسما من أسمائه الحسنىٰ فنفوا اسم الرحمٰن عن الله، قال سبحانه: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾[الرعد:٣٠]، فورثه النفاة نفاة الأسماء في هٰذه الأمة واتبعوا سبيل أهل الجاهلية فنفوا عن الله جل وعلا الأسماء الحسنىٰ.

أولئك وصفوا الله بما لم يصف به نفسه ونفوا عن الله جل وعلا ما وصف به نفسه من اليهود والنصارىٰ وجعلوا له مثيلا وشبيها فورثهم المجسمة وورثهم المؤولة.

فإذن كلّ بدعة حصلت في هٰذه الأمة في أبواب الأسماء والصفات فإنها من ابتغاء سنة الجاهلية، فإنّ أهلها إنما أخذوها من اليهود والنصارىٰ والمشركين، كذلك في باب الإيمان، الذين قالوا بالجبر إنما أخذوها من الجبرية وهم طائفة كانت قبل النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ موجودة، كذلك الذين قالوا بالإرجاء ورثوها ممن قبلهم، وكذلك في أبواب الإمامة، فإن اجتماع الناس علىٰ إمام واحد يطيعونه ويرضونه هٰذا إنما جاءت به الرسل، أما أهل الجاهلية فإنهم يعدّون التفرق مفخرة ويعدون الاتباع والطاعة لولي أمر واحد يعدون ذلك مسبة وذُلا، وهكذا، في أبواب الصحابة، المشركون يسبون أتباع الرسل ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء]، وفي هٰذه الأمة في باب العقائد خالف من خالف في العقيدة في الصحابة في أتباع الرسل فسبوهم، يعني أن أهل السنة والجماعة تبعوا المرسلين وكل من خالف أهل السنة والجماعة فإنما تَبِع أهل الجاهلية، وهٰذه جملة يطول تفصيلها.

قال: (فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ) يعني الطريق الوحيد الموصل لرضا الله جل وعلا (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ

---

(١) البخاري، حديث رقم (٧٣٢٠). مسلم، حديث رقم (٢٦٦٩).

(٢) البخاري، حديث رقم (٢٨٨٢).

اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَالِحِينَ)، وهٰذه جملة يؤخذ تفسيرها من الآية.

ونقف عند قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هٰذه الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ).

أكرر وأقول: إن ما ذُكر هٰذا عرض إجمالي لا بد منه، لما ذكر من الكلمات والجمل، وأما تفصيل الكلام علىٰ الصفات في مواضعها إنْ شاء الله تعالىٰ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.